

الثوار الهنود خلال الحرب العالمية الأولى دراسة لأهدافهم ونقاط ضعفهم (١٩١٤ - ١٩١٨)م

د. هيثم علوان مصطفى

تاريخ تسليم البحث : ٢٠٠٩/١٠/١ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠٠٩/١٢/٢٤

ملخص البحث :

كان الثوار الهنود خلال فترة البحث على أتم استعداد لتبني أية وسيلة تخدم أغراضهم، وكانت أولى خطواتهم متمثلة بتحريض أبناء الشعب الهندي على تحدي نظام الحكم البريطاني في الهند الذي استمر قرناً عديدة .

غير أن الضعف الحقيقي للثوار الهنود كان على صعيدي الفكر والتنظيم ولم يكن لدى الكثير منهم أية فكرة واضحة عن طبيعة الاستقلال والعمليات اللازمة لتحقيق . وعلى الرغم من أن الاستخبارات البريطانية كانت فعالة جداً بشكل يفوق مقدرتهم وكانت في أغلب الحالات على علم مسبق بخطط وتحركات الهنود إلا أن جهودهم تلك منحت الحركة الوطنية الهندية دافعاً كبيراً واندفاعاً عاطفياً لا مثيل له .

وتضمنت محاور البحث سبعة عناوين رئيسية ، وهي : مجموعات ثورية متباينة ، وفرصة اندلاع الحرب العالمية الأولى ، والمساعدات الخارجية لثوار الهند ، وصعوبات داخلية ونقاط ضعف ، ونظرة حول المتطلبات الأساسية ، والضعف الحقيقي يكمن في الفكر والتنظيم وأخيراً تساؤلات وملاحظات عديدة .

The Indian Revolutionaries during the First World War A study of their Aims and Weakness 1914 – 1918

Dr. Haitham Alwan Mustafa

Abstract:

The Indian revolutionaries during the resurgence period were quite ready to adopt any means that service their purpose . Their first step was to urge the Indian people to challenge the Raj in India which lasted many centuries .

However , the actual weakness of Indians revolutionaries was in the levels of ideology and organization , and many of them had no clear idea about the nature of independence and the necessary means to achieve it . Although the British intelligence was too far beyond their power , and in many cases it had a prior knowledge of the Indians plans and movement , their efforts gave the Indian national movement a tremendous motive and unprecedented passionate impulse .

The axes of the research included the following seven headlines ; Disparate revolutionary groups . Chance of first world war outbreak . The outside aids to the revolutionaries of India . Domestic difficulties and weakness . An outlook at some essential requirements . The actual weakness lies in the organization . Finally , many questions and remarks .

تمهيد :

لقد كان الثوار الهنود متمردين سياسياً ، سعوا إلى تحرير بلادهم وذلك بمحاولتهم الإطاحة بنظام الحكم البريطاني الحاكم لبلادهم ، وكانوا على أتم استعداد لتبني أية وسيلة من شأنها أن تخدم أغراضهم . بيد أنه لم يكن لديهم في أي وقت من الأوقات أية منظمة تعمل على تجنيد وإعداد وتوجيه الثوار في الهند ، أو حتى في أي جزء من أجزائها الواسعة . ومنذ بداية القرن العشرين أخذ الشبان الهنود الذين كان أغلبهم طلاب من الطبقات الاجتماعية الراقية ، والمهنيين المتخصصين من الطبقات الوسطى يتأثرون بشكل متزايد بالتطورات الحاصلة في الداخل والخارج ، ويحرضون الهنود على تحدي نظام الحكم البريطاني لبلادهم ، وأخذت الجمعيات الثورية السرية تظهر شيئاً فشيئاً في مختلف أنحاء الهند.⁽¹⁾

أولاً . مجموعات ثورية متباينة :

لقد كانت المجموعات الثورية الهندية خلال فترة البحث وبصورة عامة متباينة من حيث التكوين ، وتعمل تحت إمرة قادتها المحليين من أمثال آريا ساماج (Arya Samaj) وغيره ، ولا تعلم - في الغالب - شيئاً عن نشاطات بعضها البعض .

وكانت موحدة نسبياً من الناحية الوظيفية ، يجمعها في ذلك هدف مشترك وهو الاستقلال التام عن الإمبراطورية البريطانية ، وإقامة نظام حكم وطني مستقل . وكانوا في الوقت نفسه يؤمنون بأن الإمبراطورية البريطانية التي سيطرت على الهند بالقوة لن تزول إلا بالقوة .^(٢)

وكانت هذه المجموعات كلها تعمل بناءً على الاعتقاد ؛ بأن نظام الحكم البريطاني في الهند كان يلقى دعماً من قبل ثلثة من البريطانيين الذين كانوا يستمتعون بإذعان الهنود وطاعتهم العمياء لهم ، لاسيما في الجيش والإدارة . ولذا فقد توصلوا إلى : أن انهيار نظام الحكم البريطاني في الهند يمكن أن يتم خلال العمل على شل حركة المسؤولين البريطانيين ، وإقناع الهنود المتعاونين معهم أو ترهيبهم إذا ما دعت الضرورة بترك رؤسائهم الأجانب .

ومع ذلك ، فلم يكن عملهم سهلاً حيث كانت الأسلحة السرية باهضة الثمن ونادرة ، ولم يكن هناك حرية للحركة والتعبير عن الرأي . ولذا فقد كان الأمر غاية في الصعوبة بالنسبة لقادة الطبقات الوسطى ، وكل الهنود المتطلعين للحرية والاستقلال في اختراق صفوف الجيش و قوات الشرطة ، التي قد يمكن أن تتقلب على رؤسائها إذا ما وجدت إقناعاً كبيراً . بيد أن ذلك لم يتم إلا بعد أن بدأت فرص النجاح تلوح في الأفق .

أضف إلى ذلك ، أن الجميع كان يعلم منذ ثورة ١٨٥٧-١٨٥٨ الهندية بأن الثورات المتفرقة كان يتم القضاء عليها بسهولة ، بل ويمكن أن تأتي الإمدادات فوراً من بريطانيا نفسها إذا ما دعت الضرورة لذلك .

وعلى الرغم من أن هذه القيود والضغوطات لم تثن عن عزمهم ، إلا أن عملهم لم يكن أكثر من مجرد الاغتيالات الفردية طالما كانت إمدادات المال والذخيرة قليلة جداً ، إضافةً إلى ذلك فإن بريطانيا بقيت يقظة حول ممتلكاتها ونظام حكمها في الهند .^(٣)

ثانياً. فرصة اندلاع الحرب العالمية الأولى :

لقد أصبحت الفرصة سانحة عندما دخلت بريطانيا في الحرب العالمية الأولى في آب ١٩١٤ ، وعندما كان بعض الثوار الهنود في داخل الهند وخارجها يراقبون المشهد الدولي عن كثب ، وكانوا يتوقعون منذ عام ١٩٠٨ حدوث مواجهة بريطانية - ألمانية مع نهاية العقد الثاني من القرن العشرين .

ولكي يكونوا على أتم استعداد لمثل هذه الفرصة المواتية ، فقد قاموا بتجنيد الهنود المحليين ، وأرسلوا مبعوثين إلى مختلف البلدان التي يمكنهم فيها إقامة اتصالات فاعلة وإنشاء قواعد للعمليات من أجل استخدامها في وقت الحرب .

وقام آلاف الهنود المقيمون في الخارج وخاصةً في أمريكا الشمالية وشرق آسيا أيضاً بتنظيم ما يسمى بحركة غادار (Ghadar) ، وذلك من أجل تبني حملة دعائية واسعة النطاق

تحثهم على العودة إلى الوطن للقتال من أجل الحرية والاستقلال ، عندما تتخلص الهند من الجيوش البريطانية خلال الحرب . ومن ناحيتهم فقد كان مسلمو الهند أيضاً منشغلين في تهيئة أنفسهم لاستغلال الفرص المتوقعة في وقت الحرب إذا ما تمت دعوتهم من قبل خلية المسلمين العثماني . (٤)

وعلى كل حال ، فقد اندلعت الحرب العالمية الأولى أسرع مما كان متوقعاً ببضع سنوات ، ليجد الثوار أنفسهم غير مستعدين إلى حدٍ ما . بيد أنهم سرعان ما نظموا أنفسهم للاستجابة بشكل فعال للفرص ، التي قد تفرزها الحرب لهم كتحدٍ إذا ما تعرضوا لموقف معين . ولأول مرة وجد الثوار أنفسهم مخازن ومستودعات تابعة لإمبراطورية عتيقة في متناول أيديهم ، كما أصبح بمقدور البعثات الثورية التنقل من مكان لآخر، والاتصال فيما بينهم سراً وبمساعدة ألمانية رسمية . (٥)

ثالثاً. المساعدات الخارجية لثوار الهند :

في أيلول ١٩١٤ تم التوصل إلى اتفاق ما بين وزارة الخارجية الألمانية وبعض ممثلي الثوار الهنود في برلين من أمثال فيرندرانات جاتوباديائي (Virendranath Chattopadhyay) لتكثيف الجهود والدعم من خلال التعاون فيما بين الألمان وحلفائهم من جهة والثوار الهنود من جهة أخرى ، لإعلان ثورة عارمة في عموم الهند .

وبسبب بعد ألمانيا عن الهند ، وسيطرة بريطانيا وحلفائها على الطرق البرية والبحرية، فقد تم الاتفاق فيما بين الألمان والثوار على أن تساعد ألمانيا في جمع الأسلحة في بعض الدول المحايدة ، ومن ثم إيصالها بطرق سرية إلى مواقع محددة على الساحل الهندي . وكان متطوعو حركة غادار (Ghadar) القادمون من أمريكا الشمالية وشرق آسيا قد بدأوا مسبقاً بالتدفق إلى الهند من أجل القيام بثورة ضد نظام الحكم البريطاني المستقر في الهند، وتم وضع الخطط اللازمة لتنسيق الجهود والموارد لمختلف المجموعات الثورية الهندية في مختلف البلدان والقارات .

وفي تشرين الثاني ١٩١٤ دخلت الدولة العثمانية أيضاً في حرب ضد بريطانيا وحلفائها فأصبح أعداء بريطانيا - آنذاك - عبر إيران فقط ، فيما كان من المتوقع أن يعلن المسلمون الهنود ورجال القبائل الحدودية الثورة ضد نظام الحكم البريطاني في الهند استجابة لنداء خليفة المسلمين العثماني إلى الجهاد . (٦)

ومهما يكن من أمر ، فقد تمكن أكثر من أربعة آلاف من أنصار حركة غادار (Ghadar) من التسلل إلى الأراضي الهندية ، وكان ما يقارب الألفين قد تجمعوا على الحدود الشرقية للهند بهدف القيام بهجوم مسلح . (٧)

كما تجمعت كميات كبيرة من الأسلحة والأعتدة في الولايات المتحدة الأمريكية ، وفي بعض جزر المحيط الهادي لغرض إرسالها سراً إلى الهند عن طريق البحر . وتم بذل جهود مضنية لضمان الحصول على أسلحة من الصين وإرسالها إلى الهند عبر جبال الهملايا والبحر . وتم إرسال الأموال أيضاً وخاصةً من قبل النواب الألمان في جزيرة جاوة الاندونيسية عن طريق مبعوثين ووكالات سرية . (٨)

وقام المبعوثون الثوار بمرافقة البعثات العثمانية - الألمانية إلى أفغانستان في محاولة لإقناع أميرها بمهاجمة البريطانيين في الهند ، وتم تشكيل حكومة مؤقتة للهند الحرة في كابل في الأول من كانون الأول ١٩١٥ برئاسة راجا ماهيندرا براتاب (Raja Mahendra Pratap) وتم تعيين مولفي بركة الله (Maulvi Barkatullah) رئيساً لوزرائها ، كما قامت وحدتان عسكريتان من الهنود بثورة في سنغافورة . (٩)

وتمكن كثير من الهنود من التسلسل بنجاح من شمال الهند ، وكانوا على أتم الاستعداد للانضمام إلى الثورة الشعبية التي خطط لها راشبهاري بوز (Rashbehari Bose) في شباط ١٩١٥ . (١٠)

لقد بذل المئات من الثوار ولاسيما أعضاء حركة غادار (Ghadar) ما في وسعهم لقطع الاتصالات وشل حركة الإدارة في الهند ، واقتيد العشرات منهم إلى حبل المشنقة أو سقطوا صرعى أثناء المواجهات المسلحة مع القوات الحكومية .

ومع ذلك فلم يكن لجهودهم ذلك التأثير العملي على الحصيلة النهائية للحرب ، على الرغم من أن الألمان كانوا يأملون في استخدامهم كجبهة خفية وإضافية ضد أعدائهم البريطانيين . (١١)

رابعا . صعوبات داخلية ونقاط ضعف :

إن تلك التضحيات التي قدّمها ثوار الهند يمكن تقييمها على أحسن الافتراضات بأنها ليست سوى فشل كبير . وإن كان الأمر كذلك فكيف نفسر مثل هذا الأداء المخيب للأمال وسط هذه المساوئ الواضحة ؟ إن هذه المسألة بالذات تتطلب تحليلاً للصعوبات الداخلية في الموقف الذي كان عليهم العمل في ظله ، كما تتطلب تحليل نقاط ضعفهم ونقاط ضعف أولئك الذين اعتمدوا عليهم .

وفي الحقيقة ، لا بد لنا من القول بأن النضال الثوري عبارة عن عملية سياسية عسكرية ، حيث تتطور أعمال المقاومة بمختلف أشكالها التي يقوم بها أفراد أو مجموعات شيئاً فشيئاً إلى ثورات داخلية ، وفي النهاية إلى حرب تحرير منظمة على الصعيد القومي . إلا أن هذا التطور من مرحلة إلى أخرى قد ينشأ بصورة رئيسية بسبب وجود ثوار مدنيين بشكل جيد ، ومسلحين

بالأسلحة والإيديولوجية والتنظيم وبأعداد كبيرة ، وأقوياء بما فيه الكفاية من أجل تحقيق الأهداف المنشودة . وهذا يعني أنهم إذا كان عليهم أن يكونوا بمثابة العامل المحفز للقيام بتغيير أو البدء بتفاعل متتال نحو تلك الغاية ، فلا بد أن تتحمل قوتهم على الأقل نسبة معقولة بحجم ونسبة سكان البلد ، بالإضافة إلى قوة وإصرار أعدائهم . (١٢)

بيد أن عدد الثوار كان دائماً قليلاً جداً ومواردهم شحيحة وبدون خبرة ، ولم يكن هناك سوى تلة من شباب الطبقة الوسطى ، وقليل من شباب الطبقة الراقية المنغلقة على نفسها ، ومن بعض الأقاليم ممن انضموا أو ساندوا الحركة الثورية بشكل فاعل . (١٣)

ولم تكن طبقتا الفلاحين والعمال قد دخلتا المعترك السياسي حتى ذلك الوقت ، في حين اعتادت الطبقة الارستقراطية الإقطاعية وأصحاب النفوذ التجاري على البقاء بعيداً عن المعترك السياسي .

وعموماً ، فقد تجنبت بعض الطبقات والمجموعات الفاعلة في المجتمعات الهندية أية صلة بالتطرف السياسي المعادي لنظام الحكم البريطاني الحاكم للهند ، بل وفي مناطق واسعة من الهند كانت طبقة المفكرين بعيدة عن السياسة ، وحتى بعض الأحزاب السياسية كالمجلس الوطني الهندي أو التجمع الإسلامي لم يقدموا أي دعم للثوار .

في حين لم تبد بعض المجموعات الدينية الفعالة كمجموعة آريا ساماج (Arya Samaj) أو مجموعة خالصة ديوان (Khalsa Diwan) أي اكتراث ، أو القيام بشجب وإدانة أي لجوء إلى استخدام العنف . (١٤) بل وصل الأمر إلى أنه حتى القادة المتطرفون من أمثال تيلاك (Tilak) الكبير و لالا لاجبات راي (Lala Lajpat Rai) رفضوا التعاون مع الثوار أو أنصارهم الأجانب ، ووصفوا بعض الأعمال التي قام بها الثوار بالإرهاب . (١٥)

وطبقاً لما ذكره جارلس ثاير (Charles Thayer) فقد كان لدى الثوار الهنود من المسلحين ما يزيد عن خمسة آلاف رجل وخمسمائة امرأة . ووفق حساباته أيضاً فإن الشيوعيين الملايون فقدوا خلال سنوات نضالهم القليلة ما يقرب من ستة آلاف قتيل وثلاثة آلاف أسير . (١٦)

إن أرقاماً كهذه قليلة جداً في بلد تعداده السكاني - آنذاك - أقل من سبعة ملايين نسمة (باستثناء سنغافورة) ، فأى فرصة للنجاح ستتوفر للثوار الهنود الذين لم يكن بالإمكان إيعتماد إلا على بضعة آلاف من العاملين ليسوا دائماً مدربين ومجربين وقادرين على القتال بشكل جيد ؟ وذكر الباحث ساتش باكراشي (Satish Pakrashi) أن مجموعة من الثوار القدامى أكدوا له : أن إجمالي عدد الثوار العاملين في البنغال خلال الحرب العالمية الأولى كان مابين أربعة إلى خمسة آلاف مقاتل .

ومهما يكن من أمر ، فإنهم يعترفون بأن هذه الأرقام كانت تضم كل أولئك الذين كانوا يعتبرون مجموعة مجندين ممكنة في وقت الثورة . بيد أنه في الحقيقة ، لم يكن هناك سوى جزء صغير كان يشغل مركز النقل المشترك بشكل فاعل ومؤثر في العمل الثوري ، بل ولم يقتل إلا القليل ((لا يزيد عن ثلاثمائة قتيل)) سواء في الداخل أو الخارج خلال مسيرة الحركة الثورية برمتها من عام ١٩٠٧ ولغاية ١٩٣٤ .^(١٧)

وحتى في إقليم البنجاب الذي كان حاضنة لعناصر حركة غادار (Ghadar)، كان الرجل العادي فيه يتحمس للالتحاق بالجيش ، وغالباً ما كان يساعد أفراد الشرطة في القبض على المتمردين الثوار كما حدث حينما قام بعض القرويين المحليين بمطاردة بعض الثوار ، الأمر الذي أدى إلى مواجهة مسلحة بين قوات الشرطة وجايوتن موكيرجي (Jyotin Mukherjee) مع مجموعته أدت في النهاية إلى مقتله واعتقال من تبقى من أفراد مجموعته . لقد بقى الرجل الهندي العادي في كل مكان مخلصاً وموالياً للدولة ، رغم أنه كان في داخله متعاطفاً مع أولئك الشباب الذين كانوا يناضلون حتى الرمق الأخير . كما أن أولئك الذين كانوا في الجيش والشرطة ، عدا بعض الاستثناءات القليلة ، كانوا أيضاً يقدمون خدماتهم لحكومتهم البريطانية بإخلاص رغم ما لديهم من اعتراضات .^(١٨)

والملاحظ أن الحركة الثورية في الهند بقيت وحتى في البنجاب خلال الفترة المحصورة ما بين ١٩١٤ - ١٩١٦ في مستوى متدنٍ من النضال وبمشاركة شعبية متواضعة جداً . وكان جلّ الاهتمام الرئيسي أو ربما العام للفرد الهندي المتوسط ينصب في اتجاه أسرته بشكل عام ، وهذا ما جعله لا يبدي اهتماماً بأيّ شيء طالما لا يمس كرامته الشخصية أو أمنه . ولهذا فقد كان موقفه ووجهة نظره أساساً متحفظة وذات توجه أمني ، وكان لا يرحب بالتغيير الذي ينطوي على العنف ذي العواقب المجهولة إلاّ عندما تفشل الإدارة في ضمان الأمن والاستقرار المرجوين .

وتعقياً على بعض المواقف المشبوهة نشير إلى أن للباحث برنارد فول (Bernard Fall) مقولة تؤكد على أنه عندما ينهار بلد ما فليس لأنه مهزوم في حرب بل لأنه أسيئت إدارته . وبطبيعة الحال فقد كانت الهند باتساع رقعتها في مطلع القرن العشرين ذات إدارة جيدة بما فيه الكفاية طبقاً لتوقعات وتجارب شعبيها .

وبالإضافة إلى ذلك ، فقد لوحظ بأنه كان هناك علامة تشكل خطأً منحنيماً ما بين الناتج القومي الإجمالي Gross National Product والنزعة الثورية Revolt Proneness حيث يكون مستوى النزعة الثورية أو العنف الداخلي منخفضاً تماماً في بلدان ذات مستويات معيشية إما عالية أو منخفضة جداً .^(١٩)

ويكل بساطة ، فقد كانت الهند في ذيل البلدان التي تقع ضمن الفئة الثانية . وهذا يوضح بشكل أو بآخر أن المشاركة الشعبية في النضال الثوري في عموم الهند - آنذاك - كانت متدنية وبدرجات منخفضة .

ومن الطبيعي جداً في بلد يخوض ثورة شعبية أن يكون معدل النسبة المئوية للسكان المشاركين في الصراع كالنوار وأفراد قوات الأمن قد يصل إلى ٦% (٢٠) ، وهذا يعني على الأقل أن ٢% من السكان هم يشكل فعّال في جانب النوار والمقاومة .

بيد أن الهند كانت - وما تزال - ذات نسبة سكانية عالية في تلك الأيام ؛ إذ كان سكان الهند - آنذاك - يزيد عن ثلاثمائة مليون نسمة ، ولذا فإن النسبة المئوية كانت متدنية جداً بحيث يصعب حسابها وفق ما تقدم . وإن دلّ على شيء فإنما يدل على أن الهند - آنذاك - كانت ما تزال غير مستعدة للقيام بثورة شعبية . فما الذي يمكن أن تقدمه حفنة من النوار في ظروف كهذه سوى استغلال الفرص في أوقات الحرب إلى أقصى حد ممكن ؟ (٢١)

وبعد كل هذا ، فلا بد من القول بأنه في بلد يناضل من أجل الحرية ، فإن التصميم على بذل الجهد يعد بمثابة نصف النجاح . كما أن مثل هذه الجهود المبذولة هنا وهناك حتى لو كانت محكوم عليها بالفشل فإنها تعمل على تهيئة الأمة لتحقيق النجاح المنشود .

خامساً. نظرة حول بعض المتطلبات الأساسية :

إن نجاح أية حركة ثورية يتطلب قاعدة عمليات آمنة ، أو منطقة بعيدة عن العيون والجواسيس حيث يكون بإمكان النوار أن يقوموا بطباعة المنشورات الدعائية ، وتجميع الأسلحة وتدريب وتنظيم المجندين وكيفية الانسحاب عندما يواجهون ضغطاً شديداً أو موقفاً صعباً .

كما أن الموقع الجغرافي والصعوبات في تبادل الاتصالات ، إضافة إلى الاستياء العام المنظم للشعب قد تسمح أحياناً - كما حدث في الصين في الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين - ، باستخدام منطقة ما داخل البلاد كقاعدة ملائمة للعمل الثوري . كذلك فإن المساعدة الخارجية كالتي حصل عليها الشيوعيون الصينيون من روسيا أو توفير المأوى عبر الحدود يُعد أمراً ضرورياً .

بيد أنه من وجهة النظر السياسية أو العسكرية - الجغرافية ، لم يكن هناك منطقة في الهند كان يمكن أن تكون قاعدة ملائمة لحركة ثورية . كما أن الموقف الدولي - آنذاك - كان في وضع لم يتمكن معه أي بلد يتبع نهج الهند البسيط من إظهار أي تعاطف فاعل مع طموح الشعب الهندي القومي وتحركات النوار .

وعلى الرغم من ذلك ، فقد أقيمت قواعد للعمليات في أوروبا وأمريكا الشمالية واليابان والدولة العثمانية ، وفي بعض البلدان القريبة من الحدود الهندية . وقد أدت المسافات البعيدة جداً

، بالإضافة إلى السيطرة البريطانية على البحار ، وتأثيرها على الجيران الضعفاء للهند إلى الحيلولة دون حصول الثوار الهنود على الدعم والمأوى الذي كانوا يبحثون عنه .

وفي ظل هذا الوضع لم يكن بيد الألمان حيلة سوى التخطيط لإرسال الأسلحة من إحدى البلدان المحايدة ، وهو ما كان دائماً يبيء بالفشل . كما أن العثمانيين لم يكن باستطاعتهم أن ينقلوا الحرب الدينية إلى الحدود الهندية ، أضف إلى ذلك فإن الأفغان أيضاً بقوا مواليين لبريطانيا . والسبب الرئيس في ذلك أن العثمانيين والألمان لم يكونوا في وضع يمكنهم من تأمين الدعم العسكري لهم في الوقت المناسب . (٢٢)

وبضغط من البريطانيين فرضت تايلاند قيوداً على الهنود المقيمين فيها في آب ١٩١٥ . أما في اليابان فقد كان العديد من ذوي النفوذ فيها مساندين للهنود ، وقدموا الدعم والمأوى لبعض رجال المقاومة الهندية أمثال راشبهاري بوز (Rashbehari Bose) و هارامبا لال كويتا (Haramba Lal Gupta) على الرغم من موقف حكومة اليابان الموالي لبريطانيا .

أما في الصين ، فعلى الرغم من تعاطف صن يات سن (Sun Yat-Sen) مع القضية الهندية ، إلا أنه لم يتمكن من إظهار موقف معادٍ وفعال ضد بريطانيا طالما بقيت قاعدة عملياتها قرب هونك كونج (Hong Kong) وفي مطلع عام ١٩١٧ أعلنت حكومة بكين الحرب على ألمانيا ، وانضمت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الحلفاء ، وخضعت إيران للسيطرة البريطانية - الروسية المؤثرة . وتعاون الهولنديون في اندونيسيا والقوميون الجيكوسلوفاكيون في الولايات المتحدة الأمريكية مع الحلفاء من خلال تأمين وإرسال المعلومات الهامة عن نشاطات الهنود ، وعلى وجه الخصوص الثوار ومؤيديهم والمتعاونين معهم هناك. ولذا يمكننا القول بأن الثوار الهنود قلماً كانوا يجدون المؤن والمأوى عبر الحدود.

ومرة أخرى يتساءل كل من الثائرين ناكاز (Nagas) وميزوس (Mizos) بقولهما: ما الذي يمكن أن يقوم به حفنة من المسلحين بمساعدة خارجية شبه معدومة ، وقواعد سهلة الوصول إليها وقريبة من ساحة صراعهم ؟ (٢٣)

إن غياب أساسيات كهذه كان مسؤولاً بشكل كبير عن فشل الثورات الشيوعية في كل من الفلبين ومالايا السابقة . علاوة على ذلك فإن الهنود المقيمين في الخارج كانوا في الغالب حراس مستوطنات ، أو مزارعين أو باعة متجولين أو تجار مفرد . وغالباً ما كانوا باستثناء البنجابيين في أمريكا الشمالية ، يفتقرون إلى الموارد الاقتصادية الضرورية أو الوعي السياسي اللازم . بالإضافة إلى ذلك ، فإنهم شأنهم شأن الأتباع البريطانيين والأجانب الذين يختلفون عنهم اجتماعياً ، لم يتمكنوا قط من أن يكونوا جزءاً فعالاً كالايرلنديين والجيكوسلوفاكيين في الولايات المتحدة الأمريكية من ناحية التأثير على الرأي العام الداخلي وفي مساندة قضيتهم القومية . (٢٤)

ومما تجدر الإشارة إليه ، أن المساعدات التي تلقاها الثوار الهنود من أصدقائهم في الخارج - رغم قلتها - لم تكن منسقة وكانت تفتقر إلى الحماس . (٢٥)

ومهما يكن من أمر ، فلقد أدى تعارض الأطماع والمصالح الألمانية - العثمانية في إيران ، بالإضافة إلى توتر العلاقات بين مسؤولي البلدين بشكل كبير إلى فشل إمكانية شن هجوم فعال نحو الهند عبر غربي آسيا . (٢٦)

وفي الوقت نفسه يمكننا القول بأن المسؤولين الألمان ، لم يكن لديهم ذلك الفهم العميق لحقيقة الوضع الهندي ؛ فعلى الرغم من أن حكومتهم كانت سخية في مساعداتها للمسؤولين المعنيين ، إلا أن مهمة مساعدة الهنود كانت غالباً ما تفتقر إلى الجدية والإخلاص . ولهذا السبب غالباً ما كانت تمنع المساعدات الضرورية في اللحظة المناسبة ، كما كانت تحدث حوادث صغيرة ومتفرقة تفسد عمل شهور طويلة .

وحقيقة أخرى أكدت أن العديد منهم كانوا منمكين بجمع المال ، وكانوا سرعان ما ييؤحون بأسرارهم من دون أدنى مقاومة حالما يتم إلقاء القبض عليهم من قبل البريطانيين . (٢٧)

وعلى أية حال ، لا ينبغي أن يستنتج المرء بأن الأداء المخيب لآمال الثوار الهنود خلال الحرب العالمية الأولى كان يعود أولاً وأخيراً إلى الموقع ال جيوبولتيك (gio-political) ، وإلى الظروف التي كانت خارج إرادتهم . وإذا ما استخدمنا تعبير س.أ.ج.وود هاوس C.H.Woodhouse رئيس بعثة التحالف إلى المشتركين في حرب العصابات اليونانية خلال الحرب العالمية الثانية ، فإن الهنود في الداخل والخارج كانوا في الأغلب ثواراً مشوشين ذهنياً ؛ فقد كان معظمهم بما فيهم قادتهم عاطفيين يخافون الله ومثاليين ، وكانوا يفتقرون إلى الحنكة السياسية الضرورية ، والوعي بالمشكلات الموجودة والاستعدادات اللازمة . كما أنهم لم يحاولوا قط بناء منظمة خارجية للمؤيدين لهم .

ولذلك ، فلا بد أن يكون الهدف الأساسي للثوار هو العمل على إبعاد سكان الأرياف عن ولائهم الفطري للحكومة . ولتحقيق ذلك الهدف لا بد أن يواصل أنصارهم والمتعاطفون معهم القيام بتصعيدات سياسية عامة ، ومقاومة غير مبنية على العنف تمس وجدان الناس ، إضافةً إلى البرامج الخدمية الاجتماعية . (٢٨)

والملاحظ خلال فترة البحث أنه لم يكن في الهند أي تنسيق فعال للجهود بين الثوار ومنظماتهم الوطنية ، ولم يكن لدى العديد منهم اهتماماً بالتطورات الدولية ، ولم يقوموا قط بإجراء اتصالات هادفة مع أفراد القوات المسلحة أو القوى الخارجية . أما أولئك الذين كانوا قد توقعوا اندلاع الحرب في وقت ما فيما بعد تاريخ اندلاعها ، فلم يقوموا باستعدادات كافية من أجل استغلال الفرص التي قد تنتهي لهم . بل وعندما اندلعت الحرب فجأة تم إرسال آلاف المتطوعين

من أنصار حركة غادار (Ghadar) إلى الهند للقتال ضد البريطانيين غير مجهزين بالأسلحة الضرورية للقتال فضلاً عن التدريب وبرنامج العمل . (٢٩)

سادساً. الضعف الحقيقي يكمن في الفكر والتنظيم :

ليس غريباً أن ما بدا على أنه انفجار هائل قد تحول إلى مجرد نيران متفرقة في بعض أجزاء من الهند . غير أن السلاح والفكر والتنظيم تعد المتطلبات الأساسية لأي حركة ثورية . وبناءً على ما سبق ذكره ، فقد كان يتم شراء الأسلحة بأسعار باهضة ، وغالباً ما كانت تتم عن طريق البحارة الأجانب أو تجار الفاكهة الأفغان . وكان يتم تحضير المتفجرات سراً وغالباً ما يكون في بعض الأماكن التي كانت خاضعة للسيطرة الفرنسية وفي ظل ظروف صعبة . ومع ذلك فقد جمعت بعض الأسلحة على الرغم من أنها لم تكن بالكمية المطلوبة .

بيد أن الضعف الحقيقي للثوار الهنود ، كان على صعيدي الفكر والتنظيم . ومما لاشك فيه أن كل المجموعات الثورية كانت متفقة على الاستقلال السياسي التام لبلدها . غير أن ذلك المفهوم رغم كونه أساساً ، إلا أنه لم يكن كافياً ليقدم الوحدة والتوجيه لأي حركة ثورية في الهند ، ولم يكن لدى الكثير منهم أية فكرة واضحة عن طبيعة الاستقلال والعمليات اللازمة لتحقيقه .

لذلك نرى اختلاف المجموعات الاجتماعية ذات الأفكار والطموحات المختلفة.ولذا، فعلى الرغم من أن الهنود في داخل الهند وخارجها كانوا يناضلون ضد عدو مشترك، إلا أنهم بقوا منقسمين في مجموعات صغيرة، وغالباً ما كان يشك بعضها في البعض الآخر بشكل كبير .

وعلى الرغم من أنهم غالباً ما كانوا يتعاونون مع بعضهم البعض ضمن حدود معينة ، إلا أنه كان من الصعب التوقع بأن يعمل القوميون والمسلمون ككل بانسجام لفترة طويلة . (٣٠)

وفي حركة غادار (Ghadar) كان الشيخ الأرثوذكس يكرهون الهندوس وحليقي الشعر . وكان هناك توتر ما بين الدوابيس (Doabis) وبين ال ماجاز (Majhas) وال مالواز (Malwas) في البنجاب ، وكذلك ما بين الثوار البنغال الذين ينتمون إلى مجموعة يوكانتر (Yugantar) و غيرها من الحركات الثورية . (٣١)

وقد أثر الازدراء والشك على العلاقة ما بين الثوار الطلبة من ذوي الطبقات الراقية ، وأولئك الثوار غير المتعلمين الذين انخرطوا في الحركة الثورية .. فلم يبد الأول أية محاولة لحمل رسالته إلى الرجل العادي ، بل وفي داخل كل مجموعة اجتماعية كانت المجموعات الثورية السرية بسبب التقاليد ، وطبيعة البيئة الاجتماعية الهندية التي تتمثل في أحزاب صغيرة تتكون من بضع عشرات من الشباب في سن المراهقة أو بداية العقد الثاني ، يتجمعون حول زعيم شديد كبير في السن نسبياً . وبوصفه أخ كبير لهم يمارس سيطرة مطلقة عليهم ، وغالباً ما كان يحجب عنهم معرفة قوتهم الحقيقية وإستراتيجيتهم، وعلاقاتهم مع المجموعات الأخرى.

لقد كانت طبيعة سلطته هذه ذات قوة جذّابة ، وكان الولاء في الأساس شخصي . لذا فغالباً ما كانت تتفكك هذه المجموعات بعد وفاة أو إبعاد قادتها . (٣٢)

وفي ظل هذه الظروف لم يبذل أيّ مجهود من أجل تثقيف العاملين سياسياً وفكرياً ، ولم يكن بإمكانهم قط بناء ترتيب هرمي لزعامة مدربة قادرة على الاستمرار بمسيرة طويلة الأمد نوعاً ما من العمل الثوري .

لقد كانت هذه المجموعات تقوم بأعمال كاغتيال مسؤول عديم الرحمة ، أو واشٍ أو خائن ما بدافع شخصي أو اعتبارات داخلية ، دون أن يكون هناك أيّ مجهود لتنسيق أعمالهم مع أعمال الآخرين . ولذلك لم يتمكن الثوار من خلال أعمال المقاومة التي قاموا بها من زيادة ضغط يكفي لإقناع البريطانيين بعدم الجدوى من استمرار بقائهم في الهند أبان تلك الفترة .

وعلى الرغم من أنهم غالباً ما كانوا يتعاونون تحت قيادة شخصية بارزة أمثال هار دايل (Har Dayal) أو جاويتن موكرجي (Jyotin Mukherjee) أو جادوجوبل (Jadugopal) ، إلا أن التوترات والمنافسات فيما بينهم كانت تغطي عادةً بشكل واضح على الوحدة من أجل غاية مشتركة ، بل كان الاستياء من طريقة توزيع الأموال والأسلحة المسلوبة يؤدي في بعض الأحيان إلى جرائم قتل وتناحر فيما بين الثوار أنفسهم .

أضف إلى ذلك أن عدم نضوج وقلّة الخبرة لدى هؤلاء الثوار ، جعلهم يعقدون الآمال على الأمراء الهنود الذين كان المستشار الألماني يحاول أن يرسل إليهم رسائل عن طريق راجا ماهيندرا براتاب (Raja Mahendra Pratap). كما أنهم كانوا يتوقعون أيضاً أن يقوم القرويون بالثورة على النظام البريطاني في الهند حالما تصل الأسلحة الخارجية إلى السواحل الهندية ، أو قيام وحدة من الجيش برفع لواء الثورة . وبقليل من الاتصال مع الجماهير نسوا بأن لديهم فكراً وشعوراً على مستويات مختلفة . (٣٣)

سابعاً. تساؤلات وملاحظات عديدة :

تساءل أحد المهتمين بالشأن الهندي وهو الدكتور آرون كمر (Dr.Arun Coomer) بقوله : (ما الذي يمكن أن يحدث - آنذاك - إذا ما وصل مافريك (Maverick) إلى مصب نهر ري منكال (Raimangal) (الذي هو في بنغلاديش حالياً) ومعه ٨٠٨٠ بندقية و ٢٤٠٠ سلاح رشاش و ٤٠٠ بندقية ثنائية و ٥٠٠ مسدس دوار وحوالي ٤٠٠٠٠٠ خرطوشة ، أو إذا ما وافق حزب هو كو جوين (Ho Kuo Cheuen) القومي الثوري جنوبي الصين على تسليم الهنود أسلحة تقدر بخمسة ملايين دولار . وكم شخصاً كان سينتظر على الحدود الهندية لاستلام واستخدام هذه الأسلحة قبل أن تعلم السلطات البريطانية بأمر هذه الأسلحة ؟ وكيف سيتمكن

الثوار من توزيع هذه الأسلحة بين أنصارهم في جميع أنحاء الهند؟ ولنا أن نتصور أي فكر جدي وتنظيم يمكن أن يحل مثل هذه المشكلات المعقدة . (٣٤)

إن أولئك الذين كانوا يؤمنون بحركة تمرد أخرى من جانب الجنود كان يجب عليهم اختراق صفوف الجيش عن طريق تجنيد أتباعهم في الجيش والشرطة قبل سنوات من اقتراب ساعة الحساب . فعندما كانت المنظمة السرية لمقاومة البريطانيين في قبرص تتمتع بالدعم الكامل من الكنيسة والحكومة اليونانية ، وكان أفرادها في أقسام هامة للشرطة ، إضافة إلى نظام اتصالاتها المحكم . وعلى الرغم من ذلك فقد تطلب الأمر ستة أشهر من قائد المنظمة جورج غريفاس (George Grivas) لإجراء استعدادات فورية كاملة قبل إعطاء إشارة للقيام بالثورة . (٣٥)

لذا ، فقد كان يتحتم على الثوار الهنود أن يكون لديهم رجالهم في الجيش والشرطة والسكة الحديد وأقسام البريد والبرق قبل اندلاع الحرب ، وكان يتحتم عليهم أيضاً أن يكون فيما بينهم وفاق أكثر فاعلية مع الآخرين في تلك الأقسام .

ومما لاشك فيه أنه كان للثوار شركاء ناشطون في بعض أقسام الحكومة ، إلا أنهم كانوا غير مؤثرين بسبب قلة عددهم . كما أن الحكومة البريطانية في الهند كانت تتمتع دائماً بميزة وجود استخبارات عليا وإشراف فعلي مباشر على كافة وسائل الاتصالات من أشخاص ومواد ومعلومات

ومما كان يصب أيضاً في مصلحة الحكومة هو أن الثوار الهنود بشكل عام كانوا يفتقدون إلى إيمان وبصيرة أولئك الناضجين سياسياً ، كما أنه لم يكن هناك اهتمام ضروري في الحفاظ على السرية . وفي الحقيقة فإنهم كانوا يفتقرون إلى النظام فيما بينهم وخاصة فيما بين أولئك العمال أو الذين جاءوا من خارج الهند . (٣٦)

ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى توسعت فجأة حاجتهم إلى الرجال وإلى نطاق العمل . في حين بدأ الذهب الألماني يجتذب كل المغامرين الذين انضموا للحركة الثورية ، حيث انضم بعضهم من أجل الحصول على المال ، والبعض الآخر من أجل الحصول على حياة مترفة خارج الهند ، وآخرين كان هدفهم الرئيس هو الشعور بالرضا حيال قيامهم بعمل ما من أجل بلادهم .

وغالباً ما كان يتم تجاهل عنصر التدريب والتصنيف الأساسي . ومن ثم فقد كان من السهل جداً زرع العملاء بين صفوف الثوار ، وسرعان ما كان العديد منهم وخاصة المتعاونين معهم من الأجانب يبوحون بالأسرار . (٣٧)

ومهما يكن من أمر ، فقد كانت الاستخبارات البريطانية فعّالة جداً بشكل يفوق مقدرتهم وذلك بفضل المساعدة التي تلقتها بريطانيا من حلفائها أثناء الحرب . فكانت في أغلب الحالات على علم مسبق بخطط وتحركات الهنود . (٣٨)

أما الثوار ، فقد كانوا يفتقرون إلى ميزتين أساسيتين ، ألا وهما السرية وعنصر المباغته ؛ فكانوا يقومون بعملياتهم كما لو كانوا على مرأى ومسمع الجميع . ويؤكد القنصل الألماني في مانيللا في برقية له في آذار ١٩١٦ ، أكد فيها على أن البريطانيين كانوا على ما يبدو على علم تام بكل التحركات الفردية وأماكن وجود الثوار الهنود في مختلف الأوقات. (٣٩) وبهذا الشكل فقد كانت المسؤولية تقع على عاتق الثوار وأصدقائهم الألمان على حدٍ سواء .

وعلى أية حال ، فمن الخطأ أن يفترض المرء بأن العديد من الثوار أو قادتهم لم يكونوا مدركين للصعوبات ونقاط الضعف ، حيث كان هذا الأمر شائعاً إلى حد كبير بين الثوار الرواد من كافة الدول . بيد أنهم فضّلوا بذل جهد كبير في انتظار أوقات أفضل . وكان جهدهم هذا هو الذي منح الحركة القومية الهندية دافعاً كبيراً واندفاعاً عاطفياً شديداً .

الخلاصة

كان الثوار الهنود خلال فترة البحث على أتم استعداد لتبني أية وسيلة تخدم أغراضهم، وكانت أولى خطواتهم متمثلة بتحريض أبناء الشعب الهندي على تحدي نظام الحكم البريطاني في الهند الذي امتد قروناً عديدة .

وعلى الرغم من التباين في مواقف المجموعات الثورية ، إلا أنها كانت موحدة نسبياً في التأكيد على ضرورة استقلال الهند ، وإقامة نظام حكم وطني مستقل .

واعتقد قادة الثوار أن اندلاع الحرب العالمية الأولى فرصة سانحة لتحقيق آمالهم وتطلعاتهم ، لاسيما بعد أن تمكنوا من تجنيد بعض الهنود المحليين ، وإرسال بعض المبعوثين إلى مختلف البلدان التي يمكنهم فيها إقامة اتصالات فاعلة وتأسيس قواعد عمليات فيها .

وكان للمساعدات الخارجية - رغم قلتها - دور مهم في دعم المقاومة الهندية من خلال الاتفاق الذي تم بين الثوار الهنود ومسؤولين في وزارة الخارجية الألمانية ، وشحنات الأسلحة والأعددة الأمريكية والصينية والمساعدات العثمانية الأخرى .

إن تطور المقاومة من مرحلة إلى أخرى يتطلب ثواراً مدربين بشكل جيد ، ومجهزين بأسلحة مناسبة وإيديولوجية وتنظيم وبأعداد كبيرة ، وأقوياء بما فيه الكفاية من أجل تحقيق الأهداف المنشودة .

كما أن نجاح أي حركة ثورية يتطلب أيضاً قاعدة عمليات آمنة وبعيدة عن رقابة السلطات ، ليتمكن الثوار من طباعة منشوراتهم الدعائية ، وتجميع أسلحتهم وتدريب وتنظيم المجندين .. ولذلك فقد تمكن الثوار من إقامة قواعد لهم في بعض البلدان الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية واليابان والدولة العثمانية ، وفي بعض البلدان القريبة من الحدود الهندية .

غير أن الضعف الحقيقي للثوار الهنود كان على صعيدي الفكر والتنظيم ، ولم يكن لدى الكثير منهم أية فكرة واضحة عن طبيعة الاستقلال والعمليات اللازمة لتحقيقه . وعلى الرغم من أن الاستخبارات البريطانية كانت فعالة جداً بشكل يفوق مقدرتهم ، وكانت في أغلب الحالات على علم مسبق بخطط وتحركات الهنود ، إلا أن جهودهم تلك منحت الحركة الوطنية الهندية دافعاً كبيراً واندفاعاً عاطفياً لا مثيل له .

هوامش البحث ومصادره :

- (1) A.C. Bose , Aims and Weakness of Indian Revolutionaries(Patna , 1971), P.109 .
- (2) Ibid.,PP.110-112 .
- (3) Ibid ., P, 110.
- (4) Sachindra Nath Sanyal , Bandi Jeevan (Delhi , 1963) , P.12 .
- (5) Ibid ., P, 84.
- (6) Ibid.,PP.85-86 .
- (7) Michael O Dwyer , In his India As I Knew It , 1885-1925 (London,1925), P.196 .
- (8) Bose Op.cit , PP.133-135 .
- (9) Ibid.,PP.136-137 .
- (10)Bose , Op.cit , PP.161-164 .
- (11)George MacMunn , Turmoil and Tragedy in India , 1919 and After (London , 1935) , P.100 .
- (12)Jerry M.Tinker , Strategies of Revolutionary War far (New Delhi ,1969) , P. 23 .
- (13)Bose , Op.cit , P.121 .
- (14)O Dwyer , Op.cit , P.183 .
- (15)Stanly Wolpert , Tilak and Gokhale (Berkeley , 1962), PP.264-265 .
- (16)Charles W.Thayer , Guerilla (Chicago , 1965) , PP.105-107 .
- (17)Satish Pakrashi , Agni Diner Katha (Calcutta , 1942), P.142 .
- (18)Lahore Conspiracy Case , No.1,P.2 .
- (19)Bruce M.Russett et al . , World Handbook of Political and Social Indicators (New Haven , 1964) , PP. 306-307 .
- (20)Tinker , Strategies . , P.23 .
- (21)Ibid ., P.24.
- (22)Summary of the Administration of Lord Harding of Penhurst (Foreign and Political) , (Delhi , 1916) , PP.98-99 .
- (23)T.G. Masaryk , The Making of a State , Memories and Observation (London , 1927) , PP. , 221 , 242 .
- (24)Crozier , Rebels , P.137 .
- (25)Bose , Op.cit , PP.145-147 , 151-152 .
- (26)C.H. Sylkes Wassmuss , ' The German Lawrence ' (London , 1936) , PP.55-56 , 60-62 .
- (27)Bose , Op.cit , PP.139-140 , 142-143 .
- (28)Alberto Bayo , 150 Question for a Guerilla (Colorado , 1963) , P.53 .
- (29)F.C. Isemonger and J.Slattery , An Account of the Ghadar Conspiracy (London , 1919) , P.75 .
- (30)B.N. Datta , Aprokasito Rajnaitik Itihas (Calcutta , 1953) , PP. 44-47 .
- (31)Gopal Holder , Revolutionary (Calcutta , 1958) , P.243 .
- (32)Ibid . P.245 .
- (33)Ibid ., P.246 .
- (34)Brown , " Hindu Conspiracy " , PP.32-33 .
- (35)Dudley Baker , Grivas : Portrait of a Terrorist (London , 1959) P.157 .
- (36)Ibid ., P.158 .
- (37)Ibid ., P.160 .
- (38)Barbara Tuchman , The Zimmermann Telegram (New York , 1958) , P.11 .
- (39)J.P.Jones and P.M.Hollister , The German Secret in America (Toronto , 1918) , PP.263-264 .